التكفل بمشكلات الموهوبين والمتفوقين في الوسط المدرسي الجزائري
بين ضرورة تفعيل البرامج الإرشادية وتدقيق الكشف

د.خديجة بن فليس
جامعة باتنة

مقدمة

إن أهم ما يميز التربية الحديثة هو تركيزها على المتعلم واستثمار قدراته وإمكاناته في سبيل تحقيق التنمية المنشودة، ذلك أن المتعلم ثروة وطاقة بشرية لا تقل أهميتها عن الثروات الطبيعية المختلفة، ولعل المتعلمين الموهوبين أكثر الشرائح حاجة للاستقطاب والاهتمام وبالتالي الاستثمار بحكم أنهم زبدة المجتمع والذين من المفروض أن يتولوا المناصب الريادية والقيادية فيه.

وقد بدأ الاهتمام بمفهوم التفوق مع بداية القرن 20 خاصة بعد قيام بينيه ببناء اختبار يقيس ذكاء الأطفال، وشكلت أعماله بداية للعمل الجاد من أجل تطوير أساليب القياس العقلي إلى زمن قريب نسبيا، وتتالت بعد ذلك الأبحاث والدراسات التي أضافت الكثير للموضوع.

ونظرا لأهمية هذه الفئة من المتعلمين سارعت معظم الدول في العالم إلى تطوير هذه المواهب وتنميتها من خلال تطوير طرق وأساليب رعايتهم وتدريسهم، بل والأكثر من ذلك العناية بالأطفال الموهوبين والمتفوقين منذ نعومة أظافرهم وذلك عن طريق إخضاعهم للاختبارات والمقاييس التي تؤكد على القدرات العقلية الفائقة لديهم مع تهيئة الفرص المتنوعة لاستثمار هذه القدرات ودعمها كلما تقدم الأطفال في العمر من جهة وفي المستوى التعليمي من جهة أخرى.

والمدرسة الجزائرية شأنها شأن باقي المدارس في العالم تضم نسبة لا بأس بها من التلاميذ المتفوقين والموهوبين في مختلف الأطوار الدراسية ولعلها تبرز بجلاء في مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط، وتتعدد مظاهر التفوق لدى هؤلاء التلاميذ بتعدد مجالات الحياة، ولقد سعى القائمون على التربية والتعليم في الجزائر إلى إيجاد سبل لتدريس ورعاية هذه الفئة لكنها ظلت جهودا مبتورة لم تأخذ حتى حظها في التجريب، وآخر هذه المحاولات هو إنشاء ثانويات خاصة بالتلاميذ المتفوقين في الرياضيات

وفي خضم كل هذا التجريب والبحث عن سبل الرعاية والتكفل يعيش المتفوق أو الموهوب جملة من المشكلات المتعددة منها ما تعلق بالوسط المدرسي بكل أطرافه، ومنها ما يتعلق بالمتفوق ذاته وسماته الشخصية، وهناك ما يتعلق بالمحيط الأسري، وبين كل هذه العوامل يجد المتفوق نفسه بحاجة إلى خدمات ارشادية توجيهية تمكنه من تكيف وتوافق نفسي أفضل مع محيطه المدرسي والأسري، وتأتي هذه الدراسة للكشف عن واقع التكفل بمشكلات المتفوقين في الوسط الجزائري ومحاولة وضع خطوط عريضة لبرامج إرشادية موجهة للتلاميذ المتفوقين، وأسرهم.

2.تساؤلات الدراسة:

1.ما طبيعة المشكلات التي يعانيها التلميذ المتفوق في الوسط المدرسي؟

2.هل يتم التكفل بالمتفوقين دراسيا في الوسط المدرسي في الجزائر؟

2.أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

1.الكشف عن طبيعة المشكلات التي يعانيها التلميذ المتفوق في الوسط المدرسي.

2.الكشف عن أساليب التكفل بالمتفوقين دراسيا في الوسط المدرسي في الجزائر.

3.عرض بعض الاستراتيجيات الإرشادية التي ينبغي أن يتضمنها برنامج إرشادي للمتفوقين.

3.التعريف بمصطلحات الدراسة:

3-1-المتفوق:

يشير مصطلح المتفوقون إلى أولئك الذين وصلوا في أدائهم إلى مستوى أعلى من العاديين في مجال من المجالات التي تعبر عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد شريطة أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة، كما يعرفه عبد السلام عبد الغفار 1975 بأن الطفل المتفوق هو الطفل الذي لديه من الاستعدادات العقلية ما يمكنه من في مستقبل حياته من الوصول إلى مستويات آداء مرتفعة في مجال معين من المجالات التي تقدرها الجماعة إذا توافرت للطفل ظروف مناسبة (الطحان،1982: ص13).

3-2-الوسط المدرسي:

هو مؤسسة اجتماعية تعكس الثقافة وتنقلها للأطفال، فهي نظام اجتماعي مصغر يتعلم فيه الأطفال القواعد الأخلاقية والعادات الاجتماعية والاتجاهات وطرق بناء العلاقات مع الآخرين. (عامر، 2003: ص110)

3-3-التكفل بالتفوق:

التكفل يعني التعهد بتوفير الرعاية المادية والاجتماعية والتربوية للطفل المتفوق، وهو وسيلة نفسية تربوية اجتماعية لتوعية الفرد بذاته وأنه قادر على استثمار قدراته وتحقيق أهدافه وإشباع حاجاته في المجال الذي يتناسب وطبيعة تفوقه، ويكون ذلك من خلال تسطير وتخطيط برامج خاصة بهذه الفئة.

3-4-البرامج الإرشادية:

يعرف البرنامج الإرشادي بأنه برنامج علمي مخطط ومنظم لتقديم مجموعة من الخدمات الإرشادية المباشرة وغير المباشرة فرديا أو جماعيا بهدف مساعدة الأفراد على تحقيق النمو السوي والصحة النفسية، ويقوم بإعداده فريق من المختصين (المرشد النفسي-الأخصائي النفسي-الموجه-أولياء الأمور-الأساتذة.... الخ).

4.منهج الدراسة:

لقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة كونها ستتناول بالتحليل واقع التكفل بمشكلات الموهوبين والمتفوقين في الوسط المدرسي الجزائري.

5-حدود الدراسة: تتحدد الدراسة الحالية بالحدود التالية:

أ-الحدود البشرية: حيث تضم عينة هذه الدراسة مجموعة من التلاميذ المتفوقين في مادة الرياضيات

ب-الحدود الجغرافية: تتحدد الدراسة جغرافيا بثانوية العمراني بولاية باتنة بالشرق الجزائري.

د-الحدود الزمنية: تتحدد هذه الدراسة زمنيا ب: أفريل 2013

6-عينة الدراسة:

أ-عينة التلاميذ:

تتكون عينة الدراسة من 30 تلميذا تم اختيارهم بطريقة مقصودة من ثانوية العمراني بولاية باتنة وقد توزعت العينة كما يلي:

جدول رقم (1) يوضح عينة التلاميذ المتفوقين

الجنس	التكرار	النسبة
ذكور	15	%50
إناث	15	%50
المجموع	30	%100

ب-عينة الأساتذة والطاقم الإداري: تتكون عينة الدراسة من 18 تلميذا تم اختيارهم بطريقة عرضية من بعض الثانويات بولاية باتنة وقد توزعت العينة كما يلي:

جدول رقم (2) يوضح عينة الأساتذة والطاقم الإداري

العينة	التكرار	النسبة
أساتذة	12	%66,66
الإداريين	6	%33,33
المجموع	18	%100

7-الأدوات المستخدمة في الدراسة:

لقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على الأدوات التالية:

أ-المقابلة: لقد قامت الباحثة بسلسلة من المقابلات النصف موجهة مع التلاميذ المتفوقين تم خلالها طرح أسئلة مباشرة حول حاجاتهم الإرشادية.

ب-استمارة مقابلة: تتضمن سؤال مفتوح موجه للتلاميذ وآخر موجه للأساتذة والإداريين

- ما هي المشكلات التي تعاني منها كمتفوق في مادة الرياضيات؟
- هل يتم فعليا التكفل بالمتفوق دراسيا في الوسط المدرسي في الجزائر؟

8-عرض ومناقشة النتائج:

8-1-عرض نتائج التساؤل الأول: والذي ينص على: ما طبيعة المشكلات التي يعانيها التلميذ المتفوق في الوسط المدرسي؟

جدول رقم (3) يوضح مشكلات المتفوقين

المشكلة	التكرار	النسبة المئوية
المشكلات المرتبطة بنمط التعليم	**30**	**%100**

المشكلات المرتبطة بالأستاذ	**30**	**%100**
المشكلات المرتبطة بالمحيط المدرسي	**30**	**%100**
المشكلات الأسرية	**15**	**%50**
المشكلات الذاتية (النفسية)	**25**	**%83,33**

تعليق على الجداول: يتضح من خلال الجدول بأن المشكلات المرتبطة بنمط التعليم، الأستاذ والمحيط المدرسي قد احتلت الصدارة في حين تأتي المشكلات النفسية في المرتبة الثانية وأخيرا المشكلات المرتبطة بالأسرة مما يؤكد أن التلميذ المتفوق يعاني من جملة من المشكلات التي تؤثر على تطوره ونموه بشكل عام.

8-2-عرض نتائج التساؤل الثاني: والذي ينص على: هل يتم التكفل بالمتفوقين دراسيا في الوسط المدرسي في الجزائر؟

جدول رقم (2) يوضح استجابات افراد العينة

الاستجابة	التكرار	النسبة المئوية
لا	**13**	**%72,22**
نعم	**00**	**00**
نوعا ما	**05**	**%27,77**
المجموع	**18**	**%100**

تعليق على الجداول: يتضح من خلال الجدول بأن استجابات أفراد العينة قد تمركزت حول البديل " لا" بمعنى أنه لا يتم التكفل بالمتفوق دراسيا في الوسط المدرسي الجزائري، مقابل 5 استجابات في البديل " نوعا ما " .

9-مناقشة نتائج الدراسة:

9-1-مناقشة نتائج التساؤل الأول والثاني:

إن من يطلع على خصائص وسمات المتفوقين والموهوبين وما يتميزون به من قدرات ومواهب، يعتقد أنهم جميعاً لديهم من القدرة والمهارة ما يؤهلهم ويمكنهم من التعرف على مشاكلهم وإيجاد الحلول لها والتغلب عليها، وتحقيق التكيف مع محيطهم سواء في الأسرة أو المدرسة أو في المجتمع ككل.

إن الأطفال المتفوقين والموهوبين منذ اكتشافهم سواء كانوا في الطفولة المبكرة أو خلال مراحل نموهم ودراستهم الأولية وما يليها من مراحل، هم بأمس الحاجة إلى التعرف على مشاكلهم، وانفعالاتهم وهم أكثر عرضة للمشاكل النفسية والاجتماعية، وهذا ما أسفرت عنه نتائج الدراسة حيث أوضحت بأن المتفوقين دراسيا يعانون من مشكلات حادة تحتاج إلى تكفل سريع حتى لا تؤدي إلى تثبيطهم وتدني تحصيلهم يمكن حصر هذه المشكلات في الأبعاد التالية:

- عدم إدراكهم لمعنى التفوق.
  - التثبيط الفكري والاجتماعي داخل المدرسة
  - الضغط المفرط من قبل المدرسين والإدارة.
  - التوقعات الأسرية والمدرسية التي تؤثر بشكل سلبي على المتفوق.
- الملل والضيق الذي يعاني منه معظم الوقت في المدرسة
- كثافة البرامج الدراسية وضعف طرائق التدريس مع انعدام الوسائل التعليمية
- الشعور بالحيرة والتردد في مواجهة موقف الاختيار الدراسي خاصة ماتعلق باختيار شعبة الرياضيات.
- الشعور بالعزلة والتشدد مع الآخرين، ورفض القيام بأعمال معادة، ومقاومة السلطوية، وتدني الدافعية، والاكتئاب، وعدم تقبل النقد والقلق الزائد.

وأمام هذه المشكلات وغيرها التي يعانيها المتفوق دراسيا في المدرسة الجزائرية تعجز الهيئات الوصية عن انتهاج آلية علمية مدروسة تضمن تقديم الرعاية والتكفل الأنسب لهذه الفئة، وهذا ما بينته نتائج هذه الدراسة التي وإن كانت مقتصرة على ولاية واحدة من الجزائر إلا أنها تعكس إلى حد بعيد واقع التكفل بهذه الشريحة في المدرسة الجزائرية الذي ظل ولحقب زمنية رهين تجارب وقتية استمرت لسنة أو سنتين ثم اندثرت واندثر معها مواهب وقدرات كان من المفروض أن ترتقي وتصل إلى مستويات أعلى.

الاستراتيجيات الإرشادية التي ينبغي أن يتضمنها البرنامج الإرشادي الموجه للمتفوقين:

لقد برز مؤخرا الاهتمام بأهمية وجود برامج الإرشاد والتوجيه لتقديم الرعاية والمتابعة لفئة المتفوقين والموهوبين، لكي يتعرفوا عن قرب على مشاكلهم وكيفية مواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة، ومعالجتها لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والأكاديمي والمهني. إن مجال الإرشاد والتوجيه لموضوع هام وحيوي للطلبة العاديين بشكل عام وللطلبة المتفوقين والموهوبين بشكل خاص. وتظهر الحاجة الماسة لتطبيقه خلال عملية الكشف والتعرف على الطلبة المتفوقين والموهوبين،

إن البرامج الإرشادية والتوجيهية هي مطلب ضروري ليس للطلبة المتفوقين والموهوبين فحسب، ولكن للمحيطين بهم من معلمين وأولياء أمور وزملاء. ومحاولة التوصل إلى كل ما يحيط بهم من مشكلات تتعلق بالنمو بمختلف أشكاله أو مشاكل نفسية وانفعالية، أو اجتماعية تتعلق بعلاقتهم بمن يحيط بهم من زملاء وأهالي، أو مشكلات معرفية ترتبط بالمناهج والمقررات الدراسية التي تشكل إشكالية كبيرة للمتفوقين والموهوبين من حيث عدم مراعاتها لخصائصهم المعرفية واعتمادها وبشكل واضح على أسلوب التلقين والحفظ للمعلومات واستعادتها، أكثر من استخدام مختلف أنواع التفكير، كل هذه الموضوعات تتطلب الإرشاد والتوجيه لجميع الأطراف المعنية. ومحاولة إيجاد برامج إرشادية وتوجيهية لتحقيق النمو المتوازن والمتكامل للطالب، في جميع الجوانب الأكاديمية، والنفسية، والاجتماعية والمهنية.

وانطلاقا مما سبق تطرح الباحثة بعض الأفكار فيما يتعلق بالاستراتيجيات الإرشادية الخاصة بالمتفوقين ومحيطهم وهي استراتيجيات مدرسية -أسرية.

1- الاستراتيجيات الإرشادية المرتبطة بالإرشاد الفردي والجماعي للتلاميذ المتفوقين دراسيا:

على العموم يرتبط البرنامج الإرشادي بالحاجات المختلفة للفئة المستهدفة، لذلك كان لزاما على الباحثة استقصاء أهم المشكلات التي يعاني منها المتفوقين دراسيا، وبناء عليه توزعت الحاجات الإرشادية على ثلاث محاور رئيسة:

المجال الانفعالي والاجتماعي، المجال المعرفي، المجال المهني، وانطلاقا من ذلك ينبغي التركيز على:

1-**تنمية مفهوم الذات لدى التلميذ المتفوق دراسيا**: خاصة وأن مفهوم الذات لديه يقترن بالتفوق واتجاهه نحوه، إذ يحتاج هذا التلميذ إلى إعادة تشكيل مفهوم الذات لديه حتى يتمتع بالصلابة النفسية اللازمة لمواجهة التحديات المطروحة، حيث تشير الدراسات إلى أن الأطفال من الموهوبين

والمتفوقين ينظرون بإيجابية لأنفسهم، ولكن رفاقهم ومعلميهم ينظرون إليهم بصورة سلبية. أما الموهوبون والمتفوقون في سن المراهقة فينظرون بإيجابية لقدراتهم الأكاديمية ونموهم الشخصي، ولكن تصنيفهم كموهوبين ومتفوقين يحمل معه آثارٌ سلبية بالنسبة لعلاقاتهم الاجتماعية وعلاقاتهم مع الرفاق. لذلك يحتاج المتفوق أن يتعرف لنفسه أكثر من خلال التعرف على ماهية التفوق لأن من أهم المشكلات التي برزت من خلال الدراسة هي جهل التلميذ لماهية وأبعاد التفوق. كما أن المحاسبة المفرطة والقاسية والدائمة للذات لدى بعض المتفوقين والموهوبين والرغبة المستمرة للوصول إلى المثالية تؤدي إلى تكوين مفهوم ذات غير واقعي، والارتباط بالمثل العليا وتحقيق الوصول إلى الكمالية. فيظهر لديهم الشعور بعدم الرضا من الأعمال التي يقومون بها لرغبتهم في تحقيق الأفضل. فهم في حالة بذل من العمل الشاق المستمر، ويرون أنه لن تتحقق سعادتهم إلا بالوصول إلى ذلك المستوى من الكمال والذي يكون من الصعب الوصول إليه

وتعتبر **أساليب الإرشاد الجمعي** أكثر فاعلية في مساعدة التلاميذ المتفوقين على فهم ذواتهم وفهم الآخرين، لأن التفاعل بينهم يوفر فرصةً لتبادل الخبرات والآراء واكتشاف المشاعر وتعديل الاتجاهات نحو الذات ونحو الآخرين.

2-الإرشاد الأكاديمي للتلاميذ المتفوقين: والذي يكون في شكل جلسات جماعية تدريبية تزود التلاميذ بمهارات وعادات الدراسة؛ تنظيم الوقت مهارات إدارة الامتحان مهارات حل المشكلة مهارات التفكير الناقد؛ مفهوم التلمذة أو القدوة الأكاديمية

3-الإرشاد المهني للتلاميذ المتفوقين دراسيا: ويكون في شكل جلسات جماعية تعقد كل شهر أو شهرين لتزويد التلاميذ المتفوقين بمعلومات حول عالم الشغل والمهن في إطار ما يعرف ب الاستكشاف المهني من خلال تحليل المهن وتصنيفها؛ ضمان مصادر للمعلومات المهنية؛ الاطلاع على اتجاهات سوق العمل كشف الميول والاهتمامات المهنية؛ الاطلاع على شروط القبول في الجامعات؛ إجراءات الالتحاق بالجامعات؛ مهارات اتخاذ القرار المهني اختيار المواد والمسارات الدراسية.....إلخ

2-الإستراتجيات الإرشادية المرتبطة بالإرشاد الفردي والجماعي لأسر ومدرسي التلاميذ المتفوقين دراسيا:

انطلاقا من فكرة أنه هناك فرق بين أن يؤدي الشخص أفضل ما يمكن وبين العمل فوق استطاعته، فالرغبة بالوصول إلى الكمال الإجباري لدى المتفوق يسبب له اضطراباً نفسياً وقلقاً وضغوطاً كبيرة، وتجمع البحوث والدراسات على أن ضغوط الأهالي والمعلمين والزملاء واستخدام المديح والثناء والإيحاء بالكمال المطلوب في كل تصرفاتهم يؤدي إلى ظهور وبروز الكمالية لدى المتفوقين والموهوبين، والتي هي نتيجة للتغذية المرتدة من قبل الآخرين وتكريس مفهوم الأفضل، وبذل المزيد من الجهد غير الواقعي لتحقيق الدرجات والتفوق والوصول إلى مستوى أعلى من الآخرين مما يدفع المتفوق والموهوب إلى الإصرار والتمسك لتحقيق الكمال والسعي إليه، و من هذا الباب كان لزاما على العاملين في مجال الصحة النفسية والإرشاد تخطيط برامج ارشادية مدرسية وأسرية للتخفيف من حدة الضغوط الممارسة على التلميذ المتفوق دراسيا و الذي يتمحور على العموم حول الاستراتيجيات التالية:

1-تقديم المعلومات :يقوم المرشد بتقديم معلومات دقيقة حول تعريف الموهبة وأهم خصائص الأطفال الموهوبين والمتفوقين والمؤشرات التي تدل على الموهبة وأهم المشكلات وطرق التعامل مع هذه المشكلات استنادا الى المادة العلمية والمصادر والمراجع الصحيحة.

2-المناقشة والحوار :مناقشة الأفكار المطروحة وإبداء الآراء حول أنسب الطرق للتعامل مع الموهوبين، وإدارة الحوار بين أعضاء المجموعة.

3-التغذية الراجعة :تعليق المرشد على أراء وأفكار المجموعة وتعزيز نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف.

4-لعب الأدوار :قيام أعضاء المجموعة بأدوار تمثيلية مع المرشد أو مع فرد أخر من أعضاء المجموعة.

5-التدريب :التدريب على بعض الطرق والأساليب التي سوف يقوم بها أعضاء المجموعة مع أبنائهم الموهوبين.

6-التطبيقات العملية :تنفيذ ما تعلمه الأولياء في الجلسة في البيئة الواقعية، ولها طابع سلوكي حيث يقوم العضو في الجماعة الإرشادية بكتابة تقرير.

ملاحظة: نفس الاستراتيجيات تطبق مع المعلمين والأساتذة.